

بين النظرية والإحالة .. نظام ناجي عاروش



نخشاه .. لا لانه يهدد الثورة فحسب .. بل لانه يهدد كيان الامة ..
في هذه الفترة الحاسمة .

الثورة ان لم يعيشها الشعب على هدى .. أي مبلورة في نظرية .. في
فلسفة لا تستطيع ان تعيش اكثر من انتفاضات دامية .. اذا استطاعت
ان تبدل وزارة بوزارة .. أو زعيما بزعيم .. فانها لن تكون انقلابا جنريا
فيه كل مقومات الثورة ..

قلت ان طبيعة المعركة هي التي تحدد حاجتنا الى النظرية .. فما هي
معركتنا ؟؟ وما هي حدودها ؟؟ وما هي معالمها وملامحها ؟؟

أهي صراع بين رأسمال والبروليتارية ؟؟
أهي مجرد رغبة لجمع الاقطار العربية تحت راية واحدة ؟؟

أهي معركة الاسلام والفتوح ؟؟

أم ان لها مسارا غير تلك التي ذكرنا .. واذا كان فما هو .. ومن أين
يستمد حقيقته ومعناه ؟؟

قلت ان الاشتراكيين العرب يرون ان هذه المعركة هي معركة القوى
القومية الآخذة في التبلور والنمو .. انها المعركة التي يتخذ فيها
الانسان معنى جديدا .. والنضال في سبيل حريته وحياته معنى
انسانيا رفيعا ..

انها صراع بين حضارتين .. الاولى آخذة في التآثر والانكماش والثانية
آخذة في التفتح والازدهار .

انها معركة الانسان العربي في انقلابه على واقعه .. على التجزئة
والاستعمار والرجعية التي تتلاحم لتكون عناصر هذا الواقع الرئيسية
بمقدار ما هي معركة الانسان في صعوده الجبار الى القمة ..

وبهذا فهي ليست صراعا طبقيًا بين الرأسمالية والبروليتارية لانها
ثورة على الاضطراب الاجتماعي الذي نشأ عنه ما يسمى بالصراع الطبقي
.. ونشأت عنه النظرية الماركسية كانفعال حاقده استلزم الايمان
بالدكتاتورية ..

وهي ليست معركة جمع الاقطار العربية تحت راية واحدة .. لان
الرجوع بالمعركة الى هذا الصعيد يفقدها كل ثورتها ويجعلها في مستوى
جمع اقطاعات تحت راية ملك .

وهي ليست بطبيعتها معركة « الاسلام والفتوح » كما يقول الدعاة
والادعياء اليوم .. لانها معركة قومية تحررية .. في سبيل الانسان وحرته
وحياته .. في سبيل معنى جديد للحياة اسمى وأرفع وأكثر ملاءمة لعصر
القلق والدمار والعبودية .. لهذا العصر .

فلما ذا تكون معركتنا .. معركة الحدة والحربة والاشتراكية ؟

وما الذي تعنيه الوحدة والحربة والاشتراكية ؟؟

ثم أي معنى تعطيه ثورتنا للانسان والحربة والحياة .. وما موقفها
بالتالي من كل المبادئ والنظريات .. من الشيوعية والنازية والرأسمالية

المجتمع العربي اليوم يعيش الثورة ... يعيشها انقلابا داميا كل لحظة
من لحظات حياته .. من خلال تصور قومي عربي تتضح خطوطه وتتجلي
قسماته كلما ازدادت المعركة اشتعالا .

ان شعبنا يعيشها بؤسا وحرمانا واضطهادا .. وتمردا على اليأس
والحرمان والاضطهاد .

انه يعيشها تجزئة واستعمارا واغتصابا .

انه يعيشها عبودية وانقلابا عليها في وقت مصا .

هذا الصراع الذي بدأ نوره وربيعه يفران سفوح بلادي وجبالها
اشراقا بطوليا وايماننا رائعا بالانسان وبالحرية والحياة .. حدس غني
تزخر به قلوبنا .. وتصور فتحي تضج به اعماقنا .. ولكنه لم يصبح
بعد تصورا ثوريا عمليا نلتزمه في معركتنا الطويلة حتى تكون عملية
الخلق اصيلة وسليمة تعبر عن كل ما تزخر به اعماق شعبنا وحنياه ..
ولكن هل يستطيع هذا الحدس وذاك التصور مجاراة الامتداد الطبيعي
والمكن لثورتنا ؟

ان طبيعة المعركة هي التي تحدد الجواب على هذا السؤال ..

ولكننا نختلف على فهم هذه الحقيقة فهما جنريا .. فبينما اراها
صراعا داميا بين القوى القومية التي تزداد كل يوم تبلورا وتحفرا ...
وانعتافا وبين كل نوع من انواع العبودية .. صراعا يعطي معنى جديدا
ورفيعا للانسان والحرية والحياة والنضال .. يراها الماركسيون مجرد
نضال آلي وحتمي بين طبقة واخرى ينتهي بانتصار الحزب الشيوعي .
هذا وبينما يراها التحريريون معركة كلامية سفسطائية تنتهي بدولة
اسلامية وحروب صليبية .. يراها الاخوان المسلمون معركة بين الالحاد
والاسلام تنتهي بانتصار الله .. وبالخلافة ..

وبينما يجعل الشيوعيون المعركة في حدود تعاليم الماركسية وتقاليدها
يجعلها ادعياء الدين على اختلاف انواعهم في حدود ما يفهمون منه ..
وما تفهم منه انهمم ..

ولكن الاشتراكيين العرب يجعلونها اكثر انفتاحا .. وممارسة لذاتها ..
في محاولة تتبعهم لتطورها .. انهم يبعدونها عن مقاييس الماركسية الجاهزة
.. وتعاليم ادعياء الاسلام ويحاولون ان يجعلوا لها مقاييسها وحدودها
الفلسفية التي تتفق مع ذاتيتها وثوريتها ..

هذه هي طبيعة المعركة صراع هائل .. شامل بين قوى متعددة تزعم
كل لنفسها الحق في ممارسة الصراع دفاعا عن كرامة الانسان وحرته ..
وحياته .. في لحظة تلت فيها الكبود تحرقا على نسمة حياة ..

واذا كان من الطبيعي ان يزداد جنود المعركة كل يوم فانه من الطبيعي
ان يشتد الصراع وان تزداد البلبله .. اي ان تصبح المعركة ليس أشمل
وأكثر هولا فحسب بل وأكثر مرارة وقابلية للانتكاس والهزيمة ..

اننا نخشى مثل هذا الصراع الذي تلهب فيه طاقات قومية هدرًا ..

و.. و.. ؟

هذا ما يجب ان تحدده النظرية .
ويقول الشيوعيون .. ولماذا النظرية ! ان كل شيء موجود فسي
الماركسية ..!

ويقول بعض دعاة القومية ولماذا النظرية والفلسفة ما دام التحدي
الذي تواجهه امتنا سياسيا ..

ويقول غيرهم .. ولماذا النظرية .. ان كل شيء موجود في القرآن
وليس لسنة الله تبديل ..!

ومن الذين يلحون على فكرة الاستقلال السياسي الاستاذان عبد اللطيف
شرارة وعلي بدور .. وقد جعل الاستاذ شراره وجود الاقطاع والشعوبية
والجهل والنفوذ الاجنبي مبررا لعدم فلسفة تجربة الامة العربية
الثورية (1)

ولم يكتف بذلك بل اتهم مباشرة الذين ينادون بذلك زاعما انهم يعملون
لحساب الغرب لان الغربيين في رايه هم الذين يطالبوننا بمثل هذا
لاعتقادهم باننا سنلتقي معهم في آخر الامر .

وعلى الرغم من عدم اعتقاده بامكانية التقائنا معهم .. يبدي هذا
الراي الطريف كمبرر لعدم فلسفة التجربة الثورية العربية .

الى ان يقول : « الفكر العربي مضطر ازاء الواقع السياسي الدولي
الراهن الى الاهتمام الاعظم بالاستقلال السياسي وان كان متخلفا من سائر
الوجوه او جوانب الحياة الباقية .. نتيجة للضغط الذي مارسه
الغربيون ولا يزالون يمارسونه عليه » .

ولكن ما هو الاستقلال السياسي ..؟

كانهم يعتبرون مجرد خروج جنود الاحتلال استقلالا سياسيا .. وكان
السياسة غير الثورة والانقلاب .. وكأنها ليست عملية التحرر الشامل
الكامل المتصلة المتلاحمة ..

ان الاستقلال السياسي على الرغم من انه كان نهاية النضال بالنسبة
لكثير من الامم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين - وهذا ما يتخذه
الاستاذ بدور دليلا على صحة رايه - لا يعني الا محاولة عرقلة الثورة
العربية والحد من عنفوانها وتمزيق ثورتها ..

عندما تجهض الثورة يكون الاستقلال السياسي ولكن ثورتنا ما زالت
تزداد قوة واندفاعا .. فاي معنى للاستقلال السياسي اذن ..؟ ايعني
غير التآمر على الثورة ..

ولكن عبد اللطيف شرارة ذاته صاحب فكرة الاستقلال السياسي يعود
فيقول : « اما البلاد العربية والشعوب الاسلامية فان موقفها التاريخي
لا يسمح لها بالحياد السلبي فهي تريد ان تتخلص من الاستعمار والاستثمار
والاحتكار .. بنسبة ما تريد الحرية والديموقراطية والسلام وهي متفقة
مع العسكريين في افضل ما عندهما ومختلفة معهما في اوسع ما عندهما » .

« هذا ما كتبته في آخر عام ١٩٥٢ ، ومنه يتضح ان « النظرية » التي
يريدنا بعض المفكرين .. للقومية العربية لا يمكن ان تكون من وجهة
سياسية معادية للشيوعية .. ولا معادية في الوقت ذاته للديموقراطية
العربية .. »

وهنا ينجلي الموقف لا على انه معاداة للنظرية القومية بل اختلاف
مع الذين ينادون بها واتهام خطير لهم مع انه يحمل بعض ارائهم في الحياد

وفي النظر الى حقيقة تطاحن العسكريين .

انا نريد ان نحارب الجهل والفضى والشعوبية والحرمان والاقليمية
واننا نريد ان نحارب الاستعمار والتجزئة والاستثمار والاغتناب وكل
مظاهر العبودية

واننا نريد ان نفتح على العالم ونتفاعل معه بوحي حقيقتنا ووعي
حقيقة علاقتنا بالوجود .. وعا ثوريا .. ومن هنا كان لا بد لنا من
نظرية للثورة لا لنا هواة مقارنة وغواة ازياء فلسفية .. ولا لنا نحسد
امريكا على « البرجماتية » وروسيا على المادية الشيوعية كما حاول ان
يوهم القراء الاسناذ شرارة .. ولكن لنا نفهم طبيعة المعركة .. وطبيعة
المرحلة .. ونعرف ان هذه الجماهير التي لا تجد غير الثورة طريقا
للتعبير عن انسانيتها .. لا تقبل الفموض ولا ترضى باسلوب الافلاطونيين
الذين لا يعرفون من الثورة غير كلمات الوحدة والكرامة والتحرر والعروبة
والنضال !

على هذا فاننا اذا اردنا مساهمة الجماهير بهذه الطاقة الجبارة والفعالية
الخلاقة في الانقلاب .. واذا اردنا ان تبقى القضية في بلادنا قضية
الملايين .. وان تحافظ الثورة على شعبيتها فليس امامنا الا فلسفة
الثورة .. والنضال باسلوب ثوري عملي واضح يتفق في روحه ومعناه
مع ما في حياة الجماهير من عملية ووضوح وثورية .

والغرب حين يسألنا عن نظراتنا ومذاهبنا لا يفعل ذلك لانه لا يرى شيئا
عندنا .. فما كان الغرب ليسالنا عن ذلك لو لم تكن خطوط هذه
النظرية التي نتحدث عنها آخذة في التبلور والتطور ولكن على غير
ما يهوى ويشتهي ..

انه يريد ان يضع خطوطها هو على اساس تتفق معه بداية ونهاية ..
ولا يمكن الا ان نلاحظ ذلك اذا تتبعنا المؤتمرات التي تقام والثقافة التي
تشجع ..

انها ثقافة « دولة الاسلام » واسلام الدولار « الدرائمية » وهي
ثقافة معادية للوعي القومي العربي .

ولست ادري كيف يدعي علماء الغرب امكانية التقائنا معهم في المستقبل
ونحن نطلق من نقطة مغايرة للنقطة التي ينطلقون منها ..
مناقضة لها ..

انهم لا يفهمونا حتى الان .. ولا يفهمون ذاتيتنا ..

انهم لا يفهمون معنى ثورتنا العظيمة .. وهذه ضرورة اخرى توجب
فلسفة تجربة امتنا الثورية ..

وقيمة هذه النظرية ليست في شيء بمقدار ما هي في اصلها وثوريتها
وانسانيتها ..

انها فلسفة الثورة .. ويجب ان تكون غنية غناها .. متفتحة على
الحياة انفتاحها .. عميقة عمق روح الانقلاب فيها ..
ولذلك فانها لن تكون اطرا ولا نصوصا كالماركسية وغيرها .. لانها
ممارسة حدسنا الثوري لذاته ممارسة علمية عملية ..

وهذا بذاته مناف مناقض لفكرة الاستقلال السياسي كما يفهمه الاستاذان
شرارة وبدور (٢) وغيرهم ممن يدعون الايمان بالشعب مع اعتبارهم
الدكتاتورية من المقدمات اللازمة لحل أزمة الوجود العربي .

ناجي علوش

كويت

٣ - العروبة والمذاهب المعاصرة .. صفحة ٥٤ - البند السادس من

البند التي اعتبرها الاستاذ بدور مقدمات لاجاد مذهب عربي .

١ - الآداب - العدد الرابع - العروبة بين العقل والعاطفة .